بعد كلام كثير فاول هداية العبد ان يشرح الله صدره للاسلام ومعناه ان يذهب الله من
قلبه الكبر والحسد والبغضا للداخلين الى الله فاذا استسلم قال انظر فان رايت حقا اتبعته
فهو على نور من ربه فويل لقاسية قلوبهم من ذكر الله ولذلك قيل ما استمع احد بنية الا
ستر شاد الا اهتدى وما قصد احد المعاندة الا عرفه الله تعالى الهدى ثم اختلف الناس في هدى الله
الذي يهتدى به من يشاء من عباده فقيل هو الايمان وقيل هو العلم وقيل هو الدليل وقيل هو
الكتب وقيل هو البيان فاما من قال هو الايمان فقد نظر الى قوله سبحانه الله نور السموات والارض
قال ابن عباس هدى اهل السموات والارض قالوا وانما شبه المشكاة عن صدر المؤمن فان المشكاة
هي الكوة غير النافذة وكنى بالمصباح عن الايمان الثابت في قلبه وكنا بالمزجاجة عن القلب
والشجرة المباركة دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وستنتهم القويم وذكر الزيتونة
لصفاء دهنها وان الفساد لا يدخله فلا يتخفن ولا يخامر العقل ويفسده وهو يعلو على
كل ما يجعل معه من المايعات فكذلك الايمان لا تنقطع ارکانه ولا يضعف سلطانه
ولا يتغير برهانه ولا يخاف مع الغفلة نقصانه وهو الظاهر على كل دين ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون فان الايمان اصله المعارف العقلية والادلة البرهانية لا يكون
عن تقليد وانما يكون عن نظر سديد يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال اهل الا
شارة يكاد العارف بادلة عقلية يعرف ادب الحضرة مع الله سبحانه وتعالى وقد قيل
ان الادلة العقلية لما دلت على وحدانيته سبحانه وتنزهه استقام للعارف ان
يثني عليه جل وعز ولو لم يرد شرع ولكن لا يعلم افتراض ذلك الا بالشرع وقوله تعالى نور
على نور تنبيه على ما اشرنا اليه من برهان العقل ودليله ونهج الشرع وبيان سبيله
فنور ادلة العقل يتميز بها القديم من الحادث ونور ادلة الشرع يتميز بها احكام الله تعالى
في عباده ولذلك ضرب العلماء في ذلك مثلا فقالوا لاهل العقل كالبصر ومثل الشرع
كالضوء من وهبه الله تعالى تاييدا في عقله امكنه ان يعرف صدق الرسل ومن لم يرزق
ذلك

بذلك كان اعمى في ظلمات الجاهلية ومن كان له بصر لم يغنه بصره قبل الرسالة
في معرفة الاحكام فكان كرجل صحيح البصر في شدة الظلمة فتمنعه الظلمة مشاهدة
الاشياء في معتاد الله سبحانه ولو شيئا لا يتناكل نفس هواها والثاني اعمى في الظلمة
فاذا لاح نور الشمس ابصر السليم الحاسة على ما هي عليه وبقي الاعمى على حاله بل زاده
النور عمى على عمى او كظلمات في بحر لجي الاية قال بعض اهل الاشارة مثال تلك الظلمات
في الجهالات الجهل بثبوت الامراض ثم الجهل بحدوثها ثم الجهل بافتقار الجواهر اليها
ثم الجهل باستحالة حوادث لا اول لها والله اعلم بما اراد في ترتيب هذه الظلمات
ثم قال اذا اخرج يده لم يكد يراها فضرب المثل بيده وهي اقرب الاشياء اليه فاذا نظر
الجاهل بالربوبية الى يده لم يربرهانا فيها على حدوثها ولم يفهم تسبيحها لباريها
ومنشيها ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا قال اهل الاشارة حليما
غفورا قال اهل الاشارة حليما غفورا لمن فقه تسبيح الموجودات لربها وباريها بالسنة
احوالها السنة تفهم بالعقل وتسمع بالقلب ويترجم عنها بكلام النفس والله يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهذه الطايفة التي ذهبت الى ان الايمان هو العلم
ليس ما صارت اليه كذلك بل هو من ضروب الهدى فان الايمان يحتاج في ثبوته الى نور
اخر وهو هدى في نفسه وهو العلم بما يومن به وهذا العلم لا بد له ان يكون ثابتا عن دليل
قاطع وقد وفق الله تعالى العالم للنظر والفكر في تلك الادلة حتى يشهد له ضرورة العقل
بكيفية ادائه الدليل الى العلم فعند ذلك يعلم ويعلم كيف علم ولذلك قال اهل التحقيق
من علم ولم يعلم كيف علم فلم يعلم انما توهم نفسه عالمة ومرتبتها الظن ودليلها التقليد
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير
وهذا يدل على ان الهدى هو العلم فان من قصر عن الله فقد اهتدى ومن لم يفهم
عن الله اياته فقد ضل وغوى ومنهم يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم

الظلمات

المثال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)